326514 - تقوم الساعة على "شرار الخلق"

السؤال

لدي استفسار تبادر لذهني عند دراستي، حيث مر علي حديث رسولنا الكريم : (إِنَّ مِنْ شَرَّارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ)، وورد في سورة الرحمن في قوله تعالى: (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وفي تفسيرها أن كل من على الأرض سوف يموت من إنس وجان، فكيف الجمع بين الآية والحديث ؟

الإجابة المفصلة

لا تعارض بين الآية والحديث ، لأن الله تعالى قضى بالموت على كل أحد ، فإذا كانت القيامة فإن الله تعالى قد قضى أن يكون أهل الإيمان في نقص ، ثم يرسل الله سبحانه وتعالى ريحاً طيبة تقبض أرواح أهل الإيمان ، فإذا ماتوا قامت الساعة على شرار الخلق .

وقد سبق بيان ذلك في جواب السؤال رقم : (91794) .

وفيه :

دلت السنة الصحيحة على أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق ، حين لا يقال في الأرض : الله ، وذلك في آخر عمر الدنيا ، بعد ظهور المسيح الدجال وقتله على يد عيسى بن مريم عليه السلام وظهور الإسلام وأهله، وظهور دين الله في الأرض .

روى مسلم (148) عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ : اللَّهُ اللَّهُ » .

وروى أحمد (3844) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ مِنْ شَرَّارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ » حسنه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند .

وانظر جواب السؤال رقم : (289776)، ورقم (259634).

ثانياً :

وأما قوله : (وهم أحياء) ، فمعناه : أن الساعة تقوم على شرار الخلق ، فلا يكون ثم حيي على الأرض إلا شرار الناس ، وليس معناه أنهم يبقون أحياء بعد ذلك ، لأن الساعة إذا قامت عليهم ماتوا قبلها ، ولا بد .

قال الله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوَفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ . الزمر/68-70 .

قال الشيخ السعدي ، رحمه الله :

" لما خوفهم تعالى من عظمته ، خوفهم بأحوال يوم القيامة ، ورغبهم ورهبهم فقال : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ . وهو قرن عظيم ، لا يعلم عظمته إلا خالقه ، ومن أطلعه الله على علمه من خلقه ، فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام ، أحد الملائكة المقربين ، وأحد حملة عرش الرحمن .

﴿ فَصَعِقَ ﴾ : أي : غشي أو مات ، على اختلاف القولين : ﴿ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ : أي : كلهم ، لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها وعظمتها ، وما يعلمون أنها مقدمة له . ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ : ممن ثبته الله عند النفخة ، فلم يصعق ، كالشهداء أو بعضهم ، وغيرهم . وهذه النفخة الأولى ، نفخة الصعق ، ونفخة الفرع .

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ ﴾ : النفخة الثانية نفخة البعث ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ : أي : قد قاموا من قبورهم لبعثهم وحسابهم ، قد تمت منهم الخلقة الجسدية والأرواح ، وشخصت أبصارهم ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ : ماذا يفعل الله بهم . " انتهى من " تفسير السعدي " (729) .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" النفخ معروف . والصور لغة : القرن . وشرعاً : قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه ، وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش وهما نفختان إحداهما : نفخة الفرع ينفخ فيه فيفرع الناس ويصعقون إلا من شاء الله ، والثانية نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم .

وقد دل على النفخ في الصور الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

قال الله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ . الزمر/68 .

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاتِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ . يس/51 .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى لبيتا ورفع لبيتا ثم لا يبقى أحدٌ إلا صعق، ثم ينزل الله مطرًا كأنه الطل أو الظل -شك الراوي- فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون". رواه مسلم في حديث طويل.

وقد اتفقت الأمة على ثبوته. "انتهى من "التعليق المختصر على لمعة الاعتقاد" (114).

والله أعلم.